

سورة الحديد

مكية، إلا قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا...﴾ الآية

وهي سبع وخمسون آية، وقيل تسع وخمسون [نزلت بعد الزخرف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝٣ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٥ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٦ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٧ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝٨ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝٩ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝١٠﴾

الواو في قوله ﴿وَالْكِتَابِ﴾ واو القسم، إن جعلت حم تعديداً للحروف أو اسماً للسورة، مرفوعاً على خبر الابتداء المحذوف، وواو العطف إن كانت حم مقسماً بها. وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ جواب القسم، والكتاب المبين القرآن. والليلة المباركة: ليلة القدر. وقيل: ليلة النصف من شعبان، ولها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصلِّ، وليلة الرحمة، وقيل: بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة. وقيل في تسميتها: ليلة البراءة والصلِّ: أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة، كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة. وقيل: هي مختصة بخمس خصال: تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها، قال رسول الله ﷺ: «من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك: ثلاثون يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا. وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان» (١٤٠٠). ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يرحم أمي^(١) في هذه الليلة بعدد شعر

١٤٠٠ - ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٦١/٣) حديث (١١٧٠)، وعزاه إلى أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي في كتاب الترغيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن النبي ﷺ وإلى أبي الفضل محمد =

(١) قوله: «يرحم أمي في هذه الليلة» لعله: من أمي. (ع)

أغنام بني كلب» (١٤٠١) وحصول المغفرة: قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين، أو مصرّ على الزنا» (١٤٠٢) وما أعطي فيها رسول الله ﷺ من تمام الشفاعة؛

 ابن ناصر السلامي في كتاب فضائل شعبان عن جعفر بن محمد عن أبيه مرفوعاً.
 وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب ولم يرفعه، وإلى الحافظ أبي محمد عبد العزيز بن الأخضر في كتابه فضائل شعبان عن بضعة وثلاثين رجل من أصحاب النبي.
 وذكره الديلمي في فردوس الأخبار عن علي بن أبي طالب (٥٣/٤) حديث (٥٦٥٧).
 بلفظ «من صلى مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وعشر مرات: «قل هو الله أحد» - قضيت له كل حاجة طلبها في تلك الليلة».
 وأخرجه السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٦٠/٢): كتاب الصلاة، صدره عن علي بن أبي طالب وعجزه عن ابن عمر وعن أبي يحيى عن أربعة وثلاثين من الصحابة.

قال الحافظ ابن حجر: ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن عمر هكذا، وأخرجه أبو الفتح سليم ابن أيوب في الترغيب له من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن علي موقوفاً، وأخرجه ابن الأخضر من رواية جعفر المدائني عن أبي يحيى العتابي حديثي بضعة وثلاثون من أصحاب النبي ﷺ أنه قال - فذكره. انتهى.

١٤٠١ - أخرجه الترمذي (١٠٧/٣) كتاب الصوم: باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان حديث (٧٣٩)، والنسائي (٩١/٤) كتاب الجنائز: باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين، حديث (٢٠٣٧)، وابن ماجه في سننه (٤٤٤/١): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان حديث (١٣٨٩)، وأحمد في المسند (٢٣٨/٦)، وعبد بن حميد في مسنده (١٥٠٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٥٥٦/٢): كتاب الصوم: حديث في فضيلة ليلة النصف من شعبان حديث (٩١٥).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٦/٦) وزاد نسبه إلى البيهقي وابن أبي شيبه، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٦٢/٣)، وزاد نسبه إلى إسحاق بن راهويه وابن دحية في العلم المشهور قال الترمذي: لا يعرف هذا الحديث.

وقال: يحيى لم يسمع من عروة والحجاج لم يسمع من يحيى.
 وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي، وابن ماجه من حديث عائشة مرفوعاً: «إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا. فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب. قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث الحجاج؟ وسمعت محمدًا يضعفه. وقال: ابن يحيى لم يسمع من عروة، والحجاج لم يسمع من يحيى، وفي الباب عن أنس في الدعوات للبيهقي. وفي روايته مجاهيل. ومن وجه آخر عن عائشة في الأفراد للدارقطني. وفيه عطاء بن عجلان. وهو متروك. انتهى.

١٤٠٢ - قال الزيلعي: غريب بهذا اللفظ انظر تخريج الكشاف (٢٦٤/٣).

قال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا. وله شواهد.

عند البيهقي في شعب الإيمان (٣٨٤/٣): باب في الصيام: ما جاء في ليلة النصف من شعبان، حديث برقم (٣٨٣٣)، وابن ماجه (٤٤٥/١): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان حديث (١٣٩٠). وأحمد في المسند (٢٣٩/٦) وابن حبان (٤٨١/١٢) كتاب =

وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته. فأعطى الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين، ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع، إلا من شرد عن الله شراد البعير (١٤٠٣). ومن عادة الله في هذه الليلة: أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة. والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة: ليلة القدر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] ولمطابقة قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [القدر: ١] لقوله: ﴿لَنَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [البقرة: ١٨٥] وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان. فإن قلت: ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة؟ قلت: قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وأمر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر، وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله ﷺ نجوماً نجوماً. فإن قلت: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [البقرة: ١٨٥] ما موقع هاتين الجملتين؟ قلت: هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان^(١). فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] كأنه قيل: أنزلنا؛ لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب، وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصاً؛ لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة، وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم. والمباركة: الكثيرة الخير لما يتيح^(٢) الله فيها من الأمور التي يتعلّق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة، ومعنى ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم، وجميع أمورهم منها إلى

 = الحظر والإباحة: باب ما جاء في التباغض والتحاسد والتدابير، حديث (٥٦٦٥) والبخاري (٤٣٥/٢): كتاب الأدب: باب ما جاء في الشحناء، حديث (٢٠٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٩١/٥). والطبراني في الكبير (١٠٨/٢٠) حديث (٢١٥).

وذكرها الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٦٤/٣) وعزاها إلى البيهقي في الدعوات، وابن عدي والعقيلي، وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده هكذا. وفي ابن حبان من حديث معاذ بن جبل وقال: «يطلع إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن» وفي ابن ماجه من حديث أبي موسى كذلك، والبخاري من حديث أبي بكر وفي إسناده ضعف، والبخاري أيضاً من حديث عوف بن مالك، وفيه ابن لهيعة. ومن حديث أبي هريرة وفيه من لا يعرف. ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي سعيد عن عائشة، وفيها: «لا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى عاق، ولا إلى مدمن خمر» وفي رواية أنس عن عائشة التي ذكرناها في التي قبلها: «والمدمن، والعاق، والمصر على الزنا، وزادوا: «ولا مصور ولا قتار». انتهى.

١٤٠٣ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف: غريب (٢٦٦/٣) حديث (١١٧٣).

(١) قوله: «ملفوفتان» لعله من اللف والنشر المقرر في البيان، وبيانه ما بعده. (ع)

(٢) قوله: «لما يتيح الله فيها» أي: بقدر. (ع)

الأخرى القابلة. وقيل: يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة، ويقع الفراغ في ليلة القدر، فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبريل، وكذلك الزلازل والصواعق والخسف، ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم، ونسخة المصائب إلى ملك الموت. وعن بعضهم: يعطى كل عامل بركات أعماله، فيلقى على السنة الخلق مدحه، وعلى قلوبهم هيبته. وقرئ: «يفرق» بالتشديد و«يُفَرِّقُ» كل على بنائه للمفاعل ونصب كل، والفارق: الله عز وجل، وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه «نفرق» بالنون، كل أمر حكيم: كل شأن ذي حكمة، أي: مفعول على ما تقتضيه الحكمة، وهو من الإسناد المجازي؛ لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة، ووصف الأمر به مجاز «أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا» نصب على الاختصاص. جعل كل أمر جزلاً فخماً بأن وصفه بالحكيم، ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال: أعني بهذا الأمر أمراً حاصلًا من عندنا، كائنًا من لدنا، كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا. ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي، ثم إما أن يوضع موضع فرقان الذي هو مصدر يفرق؛ لأن معنى الأمر والفرقان واحد، من حيث إنه إذا حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه. أو يكون حالاً من أحد الضميرين في أنزلناه: إما من ضمير الفاعل، أي: أنزلناه أمرين أمراً. أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمراً من عندنا بما يجب أن يفعل، فإن قلت: «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ» بم يتعلق؟ قلت: يجوز أن يكون بدلاً من قوله: «إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» و«رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ» مفعولاً له، على معنى: إنا أنزلنا القرآن؛ لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم، وأن يكون تعليلاً ليفرق. أو لقوله: «أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا» ورحمة: مفعولاً به، وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به في قوله تعالى: «وَمَا يُمَسِّكُ فَلَا تُرْسِلُ لَكُم مِّنْ بَعْدِي» [فاطر: ٢] أي يفصل في هذه الليلة كل أمر. أو تصدر الأوامر من عندنا؛ لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا. وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة؛ وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وعلا؛ لأن الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع. والأصل: إنا كنا مرسلين رحمة منا، فوضع الظاهر موضع الضمير إيذاناً بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين، وفي قراءة زيد بن علي: «أمر من عندنا» على: هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص. وقرأ الحسن: «رحمة من ربك»، على: تلك رحمة، وهي تنصر انتصابها بأنها مفعول له. «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» وما بعده تحقيق لربوبيته، وأنها لا تحقق إلا لمن هذه أوصافه. وقرئ: «رب السموات... ربكم ورب آبائكم» بالجبر بدلاً من ربك. فإن قلت: ما معنى الشرط الذي هو قوله: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْقِنُونَ»؟ قلت: كانوا يقولون بأن للسموات والأرض رباً وخالقاً، فقبل لهم: إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب، ثم قيل: إن هذا

الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان، كما تقول: إن هذا إنعام زيد الذي تسمع الناس بكرمه واشتهر إسحاؤه، إن بلغك حديثه وحدث بقصته.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعُبُونَ﴾ (١) ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (٢) ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣) ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (٤)

ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعُبُونَ﴾ (١) وأن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن، ولا عن جد وحقيقة: بل قول مخلوط بهزء ولعب. ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ﴾ مفعول به، مرتقب. يقال: رقبته وارتقبته. نحو: نظرتُه وانتظرتُه. واختلف في الدخان؛ فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبه أخذ الحسن: أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة؛ حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيد^(١)، ويعتري المؤمن منه كهية الزكام، وتكون الأرض كلها كببيت أوقد فيه ليس فيه خصاص^(٢)، وعن رسول الله ﷺ ١٧٣/٢ «أزل الآيات: الدخان، والدجال، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين^(٣) تسوق الناس إلى المحشر» قال حذيفة: يا رسول الله، وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ الآية، وقال: «يملاً ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه كهية الزكمة، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخرية وأذنيه ودبره» (١٤٠٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: خمس قد مضت: الروم، والدخان، والقمر، والبطشة، واللزام (١٤٠٥). ويروى أنه قيل لابن

١٤٠٤ - أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٧/١١) حديث (٣١٠٦١)، والبيهقي في معالم التنزيل (١٥٠/٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٤٥/٥)، والزيلعي في تخريج الكشاف (٣/٢٦٦). عزاه إلى الثعلبي.

هذا، وقد ضعفه الطبري فقال: وحدثني محمد بن خلف العسقلاني أنه سأل رواداً عن هذا الحديث هل سمعه من سفيان؟ فقال: لا قال: فقلت: أقرأته عليه؟ قال: لا، قال: فقلت له: أقرئ عليه وأنت حاضر؟ فقال: لا، قلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني قوم فعرضوه علي، وقالوا لي: اسمعه منا، فقرؤوه ثم ذهبوا فحدثوا ثوابه عني. قال ابن حجر هذا أولى وفي مسنده رواد بن الجراح وهو متروك، وقد اعترف بأنه لم يسمع هذا الحديث. انتهى.

١٤٠٥ - أخرجه البخاري (٥٤٤/٩): كتاب التفسير باب: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ =

(١) قوله: «كالرأس الحنيد» أي المشوي، كما في الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «ليس فيه خصاص» أي: فرج. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «أبين» في الصحاح: «أبين»: اسم رجل نسب إليه عدن. (ع)

مسعود: إن قاصباً عند أبواب كندة يقول: إنه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق، فقال: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه: الله أعلم، ثم قال: ألا وسأحدثكم أن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» (١٤٠٦) فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز^(١)، وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان، وكان يحدث الرجل^(٢) فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان، فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا، فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم. ﴿يُدْخَانُ مُيِّنٌ﴾ ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان ﴿يَنْفَسِي النَّاسَ﴾ يشملهم ويلبسهم، وهو في محل الجر صفة لدخان. و﴿هَذَا عَذَابٌ﴾ إلى قوله: ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ منصوب المحل بفعل مضمر، وهو: يقولون، ويقولون: منصوب على الحال، أي: قائلين ذلك. ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب.

﴿أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

﴿أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ﴾ كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعده من الإيمان عند كشف العذاب ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ ما هو أعظم وأدخل في وجوب الاذكار من كشف الدخان، وهو ما ظهر على رسول الله ﷺ من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات،

= حديث (٤٨٢٥) وأيضاً في (٥٤١/٩)، حديث (٤٨٢٠)، ومسلم في صحيحه (١٥٦/٩): كتاب صفات المنافقين وأحكامهم؛ باب الدخول، حديث (٢٧٩٨). والنسائي في الكبرى (٤٢٢/٦): كتاب التفسير: باب قوله تعالى: «فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا». حديث (١١٣٧٤)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٦/١١): حديث (٣١٠٤٦).

١٤٠٦ - تقدم تخريجه، وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه دون قوله: «حتى أكلوا الجيف والعلهز» وقد رواه النسائي، والحاكم، والطبراني من حديث ابن عباس قال: «جاء أبو سفيان إلى النبي - ﷺ - فقال: أشدك الله والرحم، لقد أكلنا العلهز يعني الوبر، والدم فأنزل الله: (ولقد أخذناهم بالعذاب - الآية). انتهى.

- (١) قوله: «حتى أكلوا الجيف والعلهز» في الصحاح «العلهز» - بالكسر - طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في زمن المجاعة. (ع)
(٢) قوله: «وكان يحدث الرجل فيسمع» لعله: يحدث الرجل الرجل، ويمكن أن يجعل الفاعل ضميراً يعود على الرجل السابق. (ع)

فلنكم يذكروا وتولوا عنه، وبهتوه^(١) بأن عداسًا غلامًا أعجميًا لبعض ثقيف هو الذي علمه، ونسبوه إلى الجنون، ثم قال: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ ﴿١٥﴾ أي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهاال. فإن قلت: كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا﴾ قلت: إذا أتت السماء بالدخان تصور^(٢) المعذبون به من الكفار والمنافقين. وغوثوا وقالوا: ﴿رَنَّا أَكْثِفَ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٧﴾ منيئون، فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يومًا، فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون، ثم قال: ﴿يَوْمَ تَطُشُ الْأَنْسَاءُ الْكَثْرَى﴾ يريد يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا حَاتَتْ الْغَائِثُ الْكَثْرَى﴾ ﴿٣١﴾ [النازعات: ٣٤]. ﴿إِنَّا مُنْفِئُونَ﴾ أي ننتقم منهم في ذلك اليوم. فإن قلت: بم انتصب يوم نبطش؟ قلت: بما دل عليه ﴿إِنَّا مُنْفِئُونَ﴾ وهو ننتقم. ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون؛ لأن «إن» تحجب عن ذلك. وقرئ: «نبطش» بضم الطاء. وقرأ الحسن «نبطش» بضم النون، كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى. أو يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم. وقيل: ﴿الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى﴾: يوم بدر.

﴿وَلَقَدْ فُتِنَا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدَّوْا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي مَعَكُمْ بَسْطَنِي مُبِينٌ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴿٢١﴾

وقرئ: «ولقد فتنا» بالتشديد للتأكيد. أو لوقوعه على القوم. ومعنى الفتنة: أنه أمهلهم ووسع عليهم في الرزق؛ فكان ذلك سببًا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام. أو ابتلاهم بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا، فاختاروا الكفر على الإيمان، أو سلبهم ملكهم وأغرقهم. ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله وعلى عباده المؤمنين. أو كريم في نفسه؛ لأن الله لم يبعث نبيًا إلا من سراة قومه وكرامهم. ﴿أَنْ أَدَّوْا إِلَيَّ﴾ هي أن المفسرة؛ لأن مجيء الرسول من بعث إليهم متضمن لمعنى القول لأنه لا يجيئهم إلا مبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله. أو المخففة من الثقيلة، ومعناه: وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا إلي، و﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ مفعول به وهم بنو إسرائيل، يقول: أدوهم إلي وأرسلوهم معي، كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَغْلِبْهُمْ قَدًّا﴾ [طه: ٤٧] ويجوز أن يكون نداء لهم على: أدوا إلي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي، وعلل ذلك بأنه ﴿رَسُولٌ

(١) قوله: «وتولوا عنه وبهتوه» رموه بما ليس فيه كما في الصحاح أيضًا. (ع)

(٢) قوله: «تصور المعذبون به» التصور: الصباح والتلوي عند الألم والتغويث قولها: واغوثاه، أفاده الصحاح. (ع)

أَمِينٌ ﴿ غَيْرَ ظَنِينٍ قَدْ ائْتَمَنَهُ اللَّهُ عَلَى وَحْيِهِ وَرِسَالَتِهِ. ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا﴾ أَنْ هَذِهِ مِثْلُ الْأُولَى فِي وَجْهِهَا، أَيْ: لَا تَسْتَكْبِرُوا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بِالْاِسْتِهَانَةِ بِرَسُولِهِ وَوَحْيِهِ. أَوْ لَا تَسْتَكْبِرُوا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ. ﴿يُسْطَلَقُ يُبَيِّنُ﴾ بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ. ﴿أَنْ تَرْجُمُونَ﴾ أَنْ تَقْتُلُونَ. وَقُرِئَ: «عَت» بِالْإِدْغَامِ. وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ عَائِذٌ بِرَبِّهِ مِتَّكَلٌّ عَلَى أَنَّهُ يَعِصِمُهُ مِنْهُمْ وَمِنْ كَيْدِهِمْ، فَهُوَ غَيْرُ مَبَالٍ بِمَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَهُ بِهِ مِنَ الرَّجْمِ/٢/ ١٧٣ ب وَالْقَتْلِ ﴿فَأَقْزَوْنَ﴾ يَرِيدُ: إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَلَا مَوَالَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ، فَتَنَحَوْا عَنِّي وَاقْطَعُوا أَسْبَابَ الْوَصْلَةِ عَنِّي، أَيْ: فَخَلُونِي كِفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ، وَلَا تَتَعَرَّضُوا لِي بِشْرِكُمْ وَأَذَاكُم؛ فَلَيْسَ جِزَاءٌ مِنْ دَعَاكُمْ إِلَى مَا فِيهِ فَلَا حَكَمَ ذَلِكَ.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتْرُكُوا الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٥﴾

﴿أَنْ هَؤُلَاءِ﴾ بِأَنْ هَؤُلَاءِ، أَيْ: دَعَا رَبَّهُ بِذَلِكَ. قِيلَ: كَانَ دَعَاؤُهُ: اللَّهُمَّ عَجِّلْ لَهُمْ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ بِإِجْرَامِهِمْ: وَقِيلَ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوَارِ الْفَاسِقِينَ﴾ [يونس: ٨٥] وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى السَّبَبَ الَّذِي اسْتَوْجَبُوا بِهِ الْهَلَاكَ، وَهُوَ كَوْنُهُمْ مُجْرِمِينَ. وَقُرِئَ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ» بِالْكَسْرِ عَلَى إِضْمَارِ الْقَوْلِ، أَيْ: فَدَعَا رَبَّهُ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴿فَاسْرِ﴾ قُرِئَ: بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ مِنْ أَسْرَى، وَوَصْلِهَا مِنْ سَرَى. وَفِيهِ وَجْهَانِ: إِضْمَارُ الْقَوْلِ بَعْدَ الْفَاءِ، فَقَالَ: أَسْرَ بَعِبَادِي. وَأَنْ يَكُونَ جَوَابَ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: قَالَ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ فَأَسْرَ ﴿بِعِبَادِي﴾ يَعْنِي: فَأَسْرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَدْ دَبَّرَ اللَّهُ أَنْ تَتَقَدَّمُوا وَتَتَّبِعَكُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، فَيَنْجِي الْمُتَقَدِّمِينَ وَيَغْرُقُ الْتَابِعِينَ. الرَّهْوُ فِيهِ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ السَّاكِنُ. قَالَ الْأَعَشَى [مَنْ الْبَسِيطُ]:

يَمْشِينَ رَهْوًا فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَشْكِلُ^(١)

(١)	يَمْشِينَ رَهْوًا فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ	وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَشْكِلُ
	فَهُنَّ مُعْتَرِضَاتُ وَالْحَصَى رَمْضُ	وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ وَالظِّلُّ مُعْتَدِلُ
	يَتَّبِعْنَ سَامِيَةَ الْعَيْنِينَ تَحْسِبُهَا	مَجْنُونَةٌ أَوْ تَرَى مَا لَا تَرَى الْإِبِلُ
	نَهْدِي لَنَا كُلَّمَا كَانَتْ عَلَاوَتَنَا	رِيحُ الْخَزَامِي جَرَى فِيهَا النَّدَى الْخَضَلُ

لِلْقَطَافِي، يَصِفُ إِبِلًا يَمْشِينَ مَشْيًا رَهْوًا عَلَى هَيْئَةٍ وَسَكِينَةٍ، فَلَا أَعْجَازَهَا خَاذِلَةٌ أَيْ تَارِكَةٌ لَصُدُورِهَا مُتَّكِلَةٌ عَلَيْهَا بِحَيْثُ تَضَعُفُ مِنْ وَرَائِهَا، وَلَا صُدُورِهَا تُتَّكِلُ عَلَى أَعْجَازِهَا بِأَنْ تَضَعُفُ مِنْ قَدَامِهَا، فَأُطْلَقُ الْخَذْلَانُ وَالْاِتِّكَالُ وَأَرَادَ لَازِمَهُمَا، وَهُوَ الضَّعْفُ: مَجَازٌ مَرْسُلٌ. وَأَصْلُ تَشْكِلُ تَوَتَّكُلُ، فَقَلْبَتْ الرَّاوِ تَاءً وَأَدْغَمَتْ فِيمَا بَعْدَهَا، فَهُنَّ سَائِرَاتُ فِي عَرْضِ الْقُلُوتِ. وَالْحَالُ أَنَّ الْحَصَى حَارٌّ مِنْ شِدَّةِ وَقَعِ الشَّمْسِ عَلَيْهِ. وَرَمْضُ الْحَصَى وَالرَّمْلُ رَمْضًا كَتَبْتُ تَعَبًا: اشْتَدَّ حَرُّهُ مِنَ الشَّمْسِ، فَأُطْلِقُ الْمَصْدَرُ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ مِبَالِغَةً. وَيَجُوزُ أَنَّهُ رَمْضُ كَحْذَرٍ وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ، فَلَا نَسِيمَ يَأْتِي بِالرِّيْذَةِ. أَوْ فَلَا غِبَارٍ يَضُرُّ بِالسَّفَرِ وَالظِّلُّ مُعْتَدِلٌ: كَنَاءَةٌ عَنْ اشْتِدَادِ الْحَرِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْتَدِلُ إِلَّا بِتَوْسُطِ الشَّمْسِ فِي =

أي مشياً ساكناً على هيئة. أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق، كما ضربه فانفلق، فأمر بأن يتركه ساكناً على هيئته، قاراً على حاله: من انتصاب الماء، وكون الطريق ييساً لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئاً ليدخله القبط، فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم. والثاني: أن الرهو الفجوة الواسعة. وعن بعض العرب: أنه رأى جملاً فالجاً^(١) فقال: سبحان الله، رهو بين سنامين، أي: أتركه مفتوحاً على حاله منفرجاً. ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ وقرئ بالفتح، بمعنى: لأنهم.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾﴾

والمقام الكريم: ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة. وقيل: المنابر. والنعمة - بالفتح - من التنعم، وبالكسر - من الإنعام. وقرئ: «فاكهين» وفكهين.

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف منصوبة على معنى: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أو في موضع الرفع على الأمر كذلك. ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء، وهم بنو إسرائيل: كانوا متسخرين مستعبدين في أيديهم، فأهلكهم الله على أيديهم، وأورثهم ملكهم وديارهم. إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه: بكت عليه السماء والأرض، وبكته الريح، وأظلمت له الشمس. وفي حديث رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض» (١٤٠٧). وقال جرير [من البسيط]:

١٤٠٧ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان (٢٣٨/١١)، حديث (٣١١٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٢/٧): باب في الصبر على المصائب: فضل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض =

= كبد السماء يتبعن تلك المطايا ناقة حديدة البصر رافعة طرفها لتبصر أمامها، تظنها يا من تراها مجنونة. أو رائية شيئاً لا تراه بقية الإبل. أو شيئاً لا تراه الإبل عادة؛ فلذلك استغريته، تهدي لنا تلك الناقة أو الإبل بمشيها كلما وجد ارتفاعاً في الطريق ريح الخزامى. والعلاوة - بالضم -: ضد السفالة. وأما بالكسر فهي ما يعلق على البعير بعد حملة. والخزامى: نبت طيب الرائحة. والخضل: الرطب والمبتل والتاعم. وضمير فيها عائد على الخزامى. أو على الريح، لكن هذا يفيد أن السفر كان صباحاً.

ينظر: ديوانه ص (٢٦)، ولسان العرب (رها)، وتاج العروس (رها)، وتهذيب اللغة (٤٠٤/٦)، وأساس البلاغة (رهو).

(١) قوله: «أنه رأى جملاً فالجاً» في الصحاح «الفالج»: الضخم ذو السنامين. (ع)

تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا^(١)

وقالت الخارجية [من الطويل]:

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورِقًا؟ كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ^(٢)

= والمصيبات من الكفارات، حديث (٩٨٨٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٤٨/٥) وزاد نسبه إلى ابن أبي الدنيا، والزيلعي في تخريج الكشاف (٢٦٨/٣) وزاد نسبه إلى الثعلبي، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه البيهقي في الشعب في السبعين منه، والطبري، والثعلبي من حديث شريح بن عبيد الحضري عن النبي - ﷺ قال: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً إلا غربة على مؤمن. ما مات مؤمن في غربة غائب عنه فيها بواكيه - الحديث». انتهى.

(١) نعى النعاة أمير المؤمنين لنا
حملت أمراً عظيماً فاصطبرت له
يا خير من حج بيت الله واعتمرا
وقمت فيه بأمر الله يا عمرا
تبكي عليك نجوم الليل والقمر
الشمس طالعة ليست بكاسفة

لجبر، يرثي عمر بن عبد العزيز. والنعي: النداء بالموت. وقوله: «يا خير» حكاية قول النعاة، أي: قائلين يا خير، ويحتمل أنه من كلام الشاعر، ففيه التفات. والأمر العظيم: الخلافة ومشاقها: شبهها بالمحسوس على طريق المكنية. والتحميل: تخيل. وأمر الله: شرعه. أو اكتفى به عن ذكر النهي لدلالته عليه. وعمرا: منادى مندوب، وألف الندبة منعت ضمة وجلبت فتحة. واستعمال «يا» في الندبة مع أن الأصل فيها «وا» لعدم اللبس في النداء بعد ذكر النعي. ويقال: كسفت الشمس كسوفاً، وكشفها الله كسفاً، وبكى على زيد وبكاه، وبكاه فبكاه، أي غلبه في البكاء، كفاخره ففخره إذا غلبه في الفخر، فكسف، وبكى: متعديان ولازمان، وطالعة: خبر الشمس. وليست بكاسفة: خبر ثان. وتبكي عليك: حال أو خبر ثالث. ونجوم الليل: مفعول كاسفة، أي: لم تكسف الشمس نجوم الليل لانطماسها وقلة ضوئها من كثرة بكائها، فلا تقدر على منع الكواكب من الظهور. ويحتمل أن نجوم الليل مفعول تبكي. أي: تغلب نجوم الليل في البكاء عليك. وقيل: روايته هكذا وهم، والرواية: الشمس كاسفة ليست بطالعة: أي لا تطلع أبداً من حينئذ، فالأوجه أن نجوم الليل مفعول تبكي. وقيل: ظرف له، أي: مدة نجوم... الخ. وقيل «نجوم» مرفوع على الفاعلية، والقمر: مفعول معه، ثم إن المراد بهذا حزن جميع المخلوقات عليه، لا سيما الناس العقلاء. ينظر: ديوانه ص ٧٣٦، والأشباه والنظائر ٣٠٧/٥، وأمالى المرتضى ٥٢/١، وشرح شواهد الشافية ص ٢٦، والعقد الغريد ٩٦/١، ولسان العرب ٢٩٩/٩ (كسف)، ٨٣/١٤ (بكى)، وبلا نسبة في لسان العرب ١١٣/٦ (شمس).

(٢) أيا شجر الخابور مالك مورقاً
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى
فإن مات لم يرض الندى بحليف
فديناه من ساداتنا بألوف
كأنك لم تجزع على ابن طريف
ولا المال إلا من قنا وسيوف

للإلى بنت طريف ترثي أخاها الوليد. وأيا: حرف نداء. والخابور: موضع كثير الشجر، نزلت شجره منزلة العاقل، فتادته واستفهمته عن سبب إخراجه الورق، من باب تجاهل العارف ساقت =

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه، وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: من بكاء مصلى المؤمن، وآثاره في الأرض، ومساعد عمله، ومهابط رزقه في السماء تمثيل، ونفي ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده: فيقال فيه: بكت عليه السماء والأرض. وعن الحسن: فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون، بل كانوا بهلاكهم مسرورين، يعني: فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت آخر، ولم يمهلوا إلى الآخرة، بل عجل لهم في الدنيا.

﴿وَلَقَدْ بَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا مِنَ ﴿٣١﴾ الْمُسْرِفِينَ﴾

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من العذاب المهين، كأنه في نفسه كان عذاباً مهيناً؛ لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم. ويجوز أن يكون المعنى: من العذاب المهين واقعاً من جهة فرعون. وقرئ: «من عذاب المهين» ووجهه أن يكون تقدير قوله: ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾: من عذاب فرعون، حتى يكون المهين هو فرعون. وفي قراءة ابن عباس: من فرعون، لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال: من فرعون، على معنى: هل تعرفونه من هو في عتوه

= المعلوم مساق المجهول، واستفهمت عنه لفوط ما بها من الجزع تيقنت أن كل الأشياء جزعت عليه حتى الشجر، فخاطبته بقولها: كأنك لم تجزع على أخي، وذكرته بكنيته تعظيماً لقدره وتنويعاً بذكره. ومورقاً: حال من كاف الخطاب، ثم قالت: هو فتى لا يحب أن يتزود إلا من التقى، ولا يحب المال إلا من الغنائم بالحرب، فقولها: «إلا من قنا وسيوف»: كناية عن ذلك. والقنا: الرماح، واحدة: قنة. حليف الندى: أي ملازم له تلازم المتحالفين على الاجتماع، فهو استعارة مصرحة، ثم قالت: يرضى به أي بصحبته الندى: مدة حياته وإن طال. وهذا ترشيح للاستعارة. وقولها: فإن مات «إن» فيه بمعنى إذ، فهي لمجرد الربط لا للشك، كما ذهب إليه الكوفيون في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنفَعُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا على أنه كان قد مات كما هو ظاهر قولها فقدناه. ويحتمل أنه كان في مرض الموت، أي: شارفتا فقده مجازاً، كأنه قد حصل. وشبهته بالربيع في ضمن تشبيه فقدانه فقدان الربيع يجمع عموم نفع كل: مدحته بالقوى والشجاعة والكرم وعموم النفع والسيادة، وتكثير ألوف للتكثير. ويروى: دهماننا، بدل ساداتنا. والدهماء: السواد العظيم. وظاهر التمني يدل أيضاً على أنه كان قد مات، إلا أن يكون المعنى: ليتنا فديناه مما أصابه فأمرضه. وتكرير «حليف» من باب رد العجز على الصدر.

لليلي بنت طريف في الأغاني ٨٥/١٢، ٨٦، والحماسة الشجرية ٣٢٨/١، والدرر ١٦٣/٢، وشرح شواهد المغني ص ١٤٨، ولليلي أو لمحمد بن بجرة في سبط اللآلي ص ٩١٣، وللخارجية في الأشياء والنظائر ٣١٠/٥، وبلا نسبة في لسان العرب ٢٢٩/٤ (خبر)، ومغني اللبيب ٤٧/١، وجمع الهوامع ١٣٣/١.

وشيطته، ثم عرف حاله في ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُتَرَفِّينَ﴾ أي كبيرًا رفيع الطبقة، ومن بينهم فائقًا لهم، بليغًا في إسرافه. أو عاليًا متكبرًا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]. و﴿مِنَ الْمُتَرَفِّينَ﴾ خبر ثان، كأنه قيل: إنه كان متكبرًا مسرفًا.

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٢) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ هُمْ فِيهِ بَلَّتُوا مِثْرًا﴾ (٣٣)

الضمير في ﴿اخْتَرْتَهُمْ﴾ لبني إسرائيل. و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في موضع الحال، أي: عالمين بمكان الخيرة، وبأنهم أحقاء بأن يختاروا. ويجوز أن يكون المعنى: مع علم منا بأنهم يزيغون ويفرطون ١٧٤/٢ منهم الفرطات في بعض الأحوال ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ على عالمي زمانهم. وقيل: على الناس جميعًا لكثرة الأنبياء منهم. ﴿مِنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى، وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها ﴿بَلَّتُوا مِثْرًا﴾ نعمة ظاهرة؛ لأن الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة. أو اختبار ظاهر لنتظر كيف تعملون، كقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

﴿إِنْ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُنَّ﴾ (٣٤) ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَأَنذَرْتُكَ إِن كُنْتَ صَادِقِينَ﴾ (٣٦)

﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى كفار قريش، فإن قلت: كان الكلام واقعًا في الحياة الثانية^(١) لا في الموت^(٢)، فهلا قيل: إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمُنشَرِينَ؟ كما قيل: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَمْعُودِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩] وما معنى قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾؟ وما معنى ذكر الأولى؟ كأنهم وعدوا مودة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا

(١) قوله: «واقعًا في الحياة الثانية» أي التي ينكرونها. (ع)

(٢) قال محمود: فإن قلت: «كان الكلام معهم واقعًا في الحياة الثانية لا في الموت... الخ» قال أحمد: وأظهر من ذلك أنهم لما وعدوا بعد الحياة الدنيا حالتين أخريين: الأولى منهما الموت، والأخرى حياة البعث: أثبتوا الحالة الأولى وهي الموت، ونفوا ما بعدها، وسموها أولى مع أنهم اعتقدوا أن لا شيء بعدها؛ لأنهم نزلوا جحدهم على الإثبات فجعلوها أولى على ما ذكرت لهم، وهذا أولى من حمل المودة الأولى على السابقة على الحياة الدنيا لوجهين، أحدهما: أن الاختصار عليها لا يعتدونه؛ لأنهم يشتون الموت الذي يعقب حياة الدنيا، وحمل الحصر المباشر للموت في كلامهم على صفة لم تذكر لا على نفس الموت المشاهد لهم: فيه عدول عن الظاهر بلا حاجة، الثاني: أن الموت السابق على الحياة الدنيا لا يعبر عنه بالمودة، فإن المودة فعله فيها إشعار بالتجدد والطريان. والموت السابق على الحياة الدنيا أمر مستصحب لم تتقدمه حياة طرأ عليها هذا، مع أن في بقية السورة قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ وإنما عني بالمودة الأولى هنا: الموت المتعقب للحياة الدنيا فقط، ففيه إرشاد لما ذكرته، والله أعلم.

الأولى؟ قلت: معناه - والله الموفق للصواب -: أنه قيل لهم: إنكم تموتون مودة تتعقبها حياة، كما تقدمتكم مودة قد تتعقبها حياة، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فقالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ يريدون: ما المودة التي من شأنها أن تتعقبها حياة إلا المودة الأولى دون المودة الثانية، وما هذه الصفة التي تصفون بها المودة من تعقب الحياة لها إلا للمودة الأولى خاصة، فلا فرق إذا بين هذا وبين قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ في المعنى. يقال: أنشر الله الموتى ونشرهم: إذا بعثهم. ﴿فَأَنفُتَا يَتَابَعَتَا﴾ هذا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور: من رسول الله ﷺ والمؤمنين، أي: إن صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلاً على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق، وقيل: كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله وينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه؛ فإنه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعظم الشئون.

﴿أَهْمَ حَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْتَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِمِينَ﴾

هو تبع الحميري: كان مؤمناً وقومه كافرين؛ ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه، وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند. وقيل: هدمها وكان إذا كتب قال: بسم الله الذي ملك براً وبحراً. وعن النبي ﷺ: «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم» (١٤٠٨)

١٤٠٨ - هذا الحديث مروي عن سهل بن سعد وابن عباس أما حديث سهل بن سعد. أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٣٤٠/٥)، والطبراني في الكبير (٢٠٣/٦)، حديث (٦٠١٣) والبغوي في معالم التنزيل (١٥٤/٤)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩/٨): كتاب الأدب: باب النهي عن سبب الأموات، والسيوطي في الدر المنثور (٣١/٦). وزاد نسبه إلى أبي حاتم وابن مردويه.

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عمرو بن جابر وهو كذاب.

أما حديث ابن عباس.

أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٢٩٦/١١). حديث (١١٧٩٠). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢٠٥/٣) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩/٨)، كتاب الأدب: باب النهي عن سبب الأموات، والسيوطي في الدر المنثور (٣١/٦). وزاد نسبه إلى ابن مردويه.

قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أحمد بن أبي برة المكي ولم أعرفه، وبقيّة رجاله ثقات.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أحمد، والطبراني، والطبري، وابن أبي حاتم من حديث سهل بن سعد، وفيه ابن لهيعة عن عمرو بن جابر. وهما ضعيفان. وروى حبيب عن مالك عن أبي حازم عن سهل مثله قال الدارقطني: تفرد به حبيب وهو مترك. وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في معجمه وابن مردويه قال محمد بن زكريا. عن أبي حذيفة عن سفيان. انتهى.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبي» (١٤٠٩) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان نبياً. وقيل: نظر إلى قبرين بناحية حمير قال: هذا قبر رضوى وقبر حبي بنتي تبع لا تشركان بالله شيئاً. وقيل: هو الذي كسا البيت. وقيل لملوك اليمن: التبابعة؛ لأنهم يتبعون، كما قيل: الأقيال، لأنهم يُثْقِلُونَ^(١)، وسمي الظل «تبعاً» لأنه يتبع الشمس. فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿أَهْمَ خَيْرٌ﴾ ولا خير في الفريقين؟ قلت: معناه أهم خير في القوة والمنعة، كقوله تعالى: ﴿أَكْفَاكَ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكَ﴾ [القمر: ٤٣] بعد ذكر آل فرعون. وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما: أهم أشد أم قوم تبع.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَنَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْتٍ ۖ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣١﴾

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وما بين الجنسين. وقرأ عبيد بن عمير: وما بينهن. وقرأ «ميفاتهم» بالنصب على أنه اسم إن، ويوم الفصل؛ خبرها، أي: إن ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل. ﴿لَا يُغْنِي مَوْلَى﴾ أي مولى كان من قرابة أو غيرها ﴿عَنْ مَوْلَى﴾ عن أي مولى كان ﴿شَيْئًا﴾ من إغناء. أي: قليلاً منه ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الضمير للموالي؛ لأنهم في المعنى كثير؛ لتناول اللفظ على الإبهام والشيع كل مولى. ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ في محل الرفع على البذل من الواو في ﴿يُنصَرُونَ﴾ أي: لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله. ويجوز أن

١٤٠٩ - ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٧٠) وعزاه إلى الثعلبي.

وللحديث لفظ آخر: «ما أدري أتبع العين هو أم لا». أخرجه البخاري في تاريخه الكبير (١/ ١٥٣). وأبو داود في سننه (٤/ ٢١٨): كتاب السنة: باب التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حديث (٤٦٧٤)، والحاكم النيسابوري (٢/ ١٤ - ٤٥٠). كتاب البيوع والتفسير. وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٢٨): باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدره من وجوه العلم، حديث رقم (١٥٥٢). ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٠)، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وابن مردويه.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة بهذا. والمعروف بهذا الإسناد: «ما أدري العين هو أم لا». وما أدري أعزير نبي أم لا» أخرجه أبو داود، وكذا الحاكم لكن قال: ذو القرنين بدل «عزير» قال الدارقطني: تفرد به عبد الرزاق وغيره أرسله. انتهى.

(١) قوله: «لأنهم يثقلون» في الصحاح: ثقل: شرب نصف النهار، وثقل فلان أباه: تبعه. (ع)

ينتصب على الاستثناء. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ لا ينصرف منه من عصاه ﴿الرَّجِيمُ﴾ لمن أطاعه.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ﴾ (٤٣) طَعَامُ الْآثِمِينَ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَقْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَقَلِي الْحَمِيمِ (٤٦) حُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا قَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)﴾

قرئ: «إن شجرت الزقوم» بكسر الشين، وفيها ثلاث لغات: شجرة، بفتح الشين وكسرها وشيرة، بالياء. وروي أنه لما نزل ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾ (٤٣) [الصفات: ٦٢] قال ابن الزبيري: إن أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر: التزقم، فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال: تزقموا فإن هذا هو الذي يخوفكم به محمد، فنزل ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ﴾ (٤٣) طَعَامُ الْآثِمِينَ (٤٤) وهو الفاجر الكثير الآثام. وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلاً فكان يقول طعام الشيم، فقال: قل طعام الفاجر^(١) يا هذا. وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها. ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة، وهي: أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئاً. قالوا: وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة؛ لأن في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته ١٧٤ ب و غرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها، وما كان أبو حنيفة رحمه الله بحسن الفارسية، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر، وروي علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية ﴿كَالْمُهْلِ﴾ قرئ: بضم الميم وفتحها، وهو دردي^(٢) الزيت. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَكُونُ الْأَشْيَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ (٨) [المعارج: ٨] مع قوله: ﴿كَانَتْ وَرْدَةٌ كَذَلِهَا﴾ [الرحمن: ٣٧] وقيل: هو ذائب الفضة والنحاس، والكاف رفع خبر بعد خبر، وكذلك ﴿يَقْلِي﴾ وقرئ: بالتاء. للشجرة، وبالياء للطعام. و﴿الْحَمِيمِ﴾ الماء الحار الذي انتهى غليانه: يقال للزبانية ﴿حُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ﴾ فقودوه بعنف وغلظة، وهو أن يؤخذ بتليب^(٣) الرجل فيجر إلى حبس أو قتل. ومنه «العتل» وهو الغليظ الجافي. وقرئ: بكسر التاء وضمها ﴿إِلَى

(١) قال محمود: «نقل أن أبا الدرداء أقرأها رجلاً فلم يقم النطق بالآثيم وجعل يقول طعام الشيم... الخ» قال أحمد: لا دليل فيه لذلك. وقول أبي الدرداء محمول على إيضاح المعنى ليكون وضوح المعنى عند المتعلم عوناً على أن يأتي بالقراءة كما أنزلت. على هذا حمله القاضي أبو بكر في كتاب الانتصار، وهو الوجه، والله أعلم.

(٢) قوله: «وهو دردي الزيت» لعله: ردى الزيت كعبارة النسفي. (ع)

(٣) قوله: «وهو أن يؤخذ بتليب الرجل» الذي في الصحاح: لببت الرجل تليباً، إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة، ثم جررته اهـ ويجوز أنه أراد بتليب الرجل: ثيابه من عند صدره ونحره. (ع)

سَوَاءَ الْجَحِيمِ ﴿ إلى وسطها ومعظمها. فإن قلت: هلا قيل: صبوا فوق رأسه من الحميم، كقوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩] لَأَنَّ الْحَمِيمَ هُوَ الْمَصْبُوبُ لَا عَذَابُهُ؟ قلت: إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته، إلا أَنَّ صَبَ الْعَذَابِ طَرِيقَةٌ الْاِسْتِعَارَةُ، كقوله [من البسيط]:

..... صُبْتُ عَلَيْهِ صُرُوفَ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ ^(١)

وكقوله تعالى: ﴿أَفَرِحَ عَلَيْهَا صَبْرًا﴾ [البقرة: ٢٥٠] فذكر العذاب معلقًا به الصب، مستعارًا له، ليكون أهول وأميب يقال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿١٩﴾ على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه. وروي أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَا بَيْنَ جَبَلِيهَا أَعَزَّ وَلَا أَكْرَمَ مِنِّي، فوالله مَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلَا رَبِّكَ أَنْ تَفْعَلَا بِي شَيْئًا. وقرئ: «إِنَّكَ» بمعنى: لَأَنَّكَ. وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أَنَّهُ قَرَأَ بِهِ عَلَى الْمَنِيرِ ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الْعَذَابِ. أَوْ إِنْ هَذَا الْأَمْرُ هُوَ ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ أَي تَشْكُونَ. أَوْ تَتَمَارُونَ. وتلا جون.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِبِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتُهُمْ بِخُورٍ عَيْنٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَتْهُمُ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾

قرئ: «في مقام» بالفتح: وهو موضع القيام، والمراد المكان، وهو من الخاص الذي وقع مستعملًا في معنى العموم. وبالضم: وهو موضع الإقامة. و﴿الأمين﴾ من قولك: أمن الرجل أمانة فهو أمين. وهو ضد الخائن، فوصف به المكان استعارة؛ لَأَنَّ الْمَكَانَ الْمُخِيفَ كَأَنَّمَا يَخُونُ صَاحِبَهُ بِمَا يَلْقَى فِيهِ مِنَ الْمَكَارِهِ. قيل: السندس: ما رق من الديباج. والإستبرق: ما غلظ منه وهو تعريب استبر. فإن قلت: كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي؟ قلت: إذا عرب خرج من أن يكون عجميًا؛ لأن معنى التعريب أن يجعل عربيًا بالتصرف فيه، وتغييره عن منهاجه، وإجرائه على أوجه الإعراب ﴿كَذَلِكَ﴾

(١) كم امرئ كان في خفض وفي دعة صبت عليه صرُوف الدهر من صبب

الصبب: مكان الصباب الماء وانحداره. يقول: كثير من الناس كان في لين عيش وفي راحة، توالى عليه حوادث الدهر كأنها سيل منحدر من صبب، فاستعار الصبب لنزول الحوادث بالشخص على طريق التصريح، والصبب ترشيح أو شبه الحوادث بالسيل على سبيل المكنية. والصبب: تخيل. والصبب: ترشيح. والصرُوف: جمع صرف، كحروف جمع حرف: مكاره الزمن ومصائبه.

الكاف مرفوع على الأمر كذلك. أو منصوب على: مثل ذلك أثبتناهم ﴿وَرَوَّجْتَهُمْ﴾ وقرأ عكرمة «بحور عين» على الإضافة، والمعنى: بالحرور من العين؛ لأن العين إما أن تكون حورًا أو غير حور، فهؤلاء من الحرور العين^(١) لا من شهلهن مثلاً. وفي قراءة عبد الله: «بعيس عين» والعيساء: البيضاء تعلوها حمرة وقرأ عبيد بن عمير «لا يذاقون فيها الموت» وقرأ عبد الله «لا يذوقون فيها طعم الموت»، فإن قلت: كيف استثنيت الموتة الأولى - المذوقة قبل دخول الجنة - من الموت المنفي ذوقه فيها؟ قلت: أريد أن يقال: لا يذوقون فيها الموت البتة، فوضع قوله: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ موضع ذلك؛ لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل، فهو من باب التعليق بالمحال، كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها^(٢). وقرئ: «ووقاهم» بالتشديد ﴿فَضَلَّ رَّبِّكَ﴾ عطاء من ربك وثوابًا، يعني: كل ما أعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار. وقرئ: «فضل» أي: ذلك فضل.

﴿فَإِنَّمَا يَتَرَنَّهٗ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿فَإِنَّمَا يَتَرَنَّهٗ بِلسَانِكَ﴾ فذلكمة للسورة. ومعناها: ذكرهم بالكتاب المبين (فإنما يسرناه) أي: سهلناه، حيث أنزلناه عربياً بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمهم قومك فيتذكروا ﴿فَارْتَقِبْ﴾ فانتظر ما يحل بهم ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ ما يحل بك متربصون بك الدوائر.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» (١٤١٠) وعنه عليه السلام: «من قرأ سورة حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة

١٤١٠ - أخرجه الترمذي (١٦٣/٥) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل «حم» الدخان حديث (٢٨٨٨)، وابن عدي في «الكامل» (٦٥/٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٤/٢) رقم (٢٤٧٥) من طريق عمر بن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً =

(١) قوله: «من الحرور العين» لعله: من حور العين. (ع)

(٢) قال محمود: «إنما استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها. . . الخ» قال أحمد: هذا الذي ذكره مبني على أن الموتة بدل، على طريقة بني تميم المجوز فيها البدل من غير الجنس. وأما على طريقة الحجازيين، فانتصبت الموتة استثناءً منقطعاً. وسر اللغة التيممية: بناء النفي المراد على وجه لا يبقى للسامع مطمئناً في الإثبات، فيقولون: ما فيها أحد إلا حمار، على معنى: إن كان الحمار من الأحدين ففيها أحد، فيعلقون الثبوت على أمر محال حتماً بالنفي. وعليه حمل الزمخشري (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) أي إن كان الله ممن في السموات والأرض، ففي السموات والأرض من يعلم الغيب، فإذا نفر السامع من ثبوت الأول تعدت النفرة إلى ثبوت الثاني، فجزمت بالنفي، والله أعلم.

= وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي أيضًا وابن عدى والبيهقي في الشعب من رواية عمر بن خثعم عن يحيى بن أبي عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وقال: غريب، وعمر يضعف. قال محمد: إنه منكر الحديث. قلت: وهو الذي قبله. انتهى.

١٤١١ - أخرجه الترمذي (١٦٣/٥) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل حم الدخان حديث (٢٨٨٩)، والدارمي (٣٥٧/٢) كتاب فضائل القرآن: باب في فضل (يس)، والطيالسي (٢٣/٢) - منحة (رقم (١٩٧٠)، وأبو يعلى (٦٢٢٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٧٤)، والطبراني (١٤٩/١) كلهم من طريق الحسن عن أبي هريرة.

وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهشام أبو المقدام يضعف ولم يسمع الحسن من أبي هريرة هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد، وعلي بن زيد.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الترمذي، وأبو يعلى، وابن السني في اليوم والليلة، والبيهقي في الشعب، وقال: تفرد به أبو المقدام وهو ضعيف. وعن الحسن عن أبي هريرة وقال الترمذي: أبو المقدام ضعيف والحسن لم يسمع من أبي هريرة. انتهى.